قناة لوغوس بالولايات المتَّحدة الأمريكيَّة
إيبارشيَّة لوس أنجلوس
سبتمبر وأكتوبر ٢٠١٤م
الرَّاهب القس أثناسيوس المقاري

التَّاريخ الطَّقسي لسرِّ الميرون المقدَّس

تقديم

سرُّ الميرون المقدَّس، أو سرُّ المسحة المقدَّسة، هو سرُّ حلول الرُّوح القُدُس في النَّفْس، وسكناه فيها، كهبة وعطيَّة ونعمة، تُعطى للمعمَّد حديثاً. فالهبة أو العطيَّة أو النِّعمة شيءٌ واحدٌ، وهو أنَّ الرُّوح القُدُس الذي ناله في سرِّ المسحة المقدَّسة، أي في سرِّ الميرون المقدَّس، ناله كعطيَّة من الله، كهبة منه، كنعمة إلهيَّة مجانيَّة، لم تكن أصلاً من حقِّنا. هـذا هو مضمون نصوص صلوات هذا السِّر المقدَّس في الكنيسة القبطيَّة.

وسرُّ الرُّوح القُدُس، يكمِّل سرّ المعموديَّة ويتمِّمه. فيقول سفر الأعمال: «لَمَّا سمع الرُّسُل الذين في أورشليم أنَّ السَّامرة قد قبلت كلمة الله، أرسلوا إليهم بطرس ويوحنَّا اللَّذَين لَمَّا نزلا صَلَّيا لأجلهم لكي يقبلوا الرُّوح القُدُس، لأنه لم يكن قد حلَّ على أحد منهم، غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرَّب يسوع. حينئذ وضعا الأيادي عليهم فقبلوا الرُّوح القُدُس» (أعمال ٨:١٤-١٧). واضحٌ هنا أنَّ سرَّي المعموديَّة والميرون، هما سرَّان مستقلاَّن بعضهما عن بعض، ولكنَّهما مرتبطان ببعضهما البعض ارتباطاً كاملاً.

وسرُّ الرُّوح القُدُس، كان يمنح بوضع اليد في البداية، ثمَّ أضيف إلى وضع اليد، الدَّهن أو المسح بالميرون المقدَّس. وجدير بالذِّكر، أنَّ طقس وضع اليد لم ينفصل عن طقس المسح بالزَّيت المقدَّس، بل كان الطَّقسان يمارسان معاً جنباً إلى جنب في وحدة ليتورجيَّة مبدعة، ومنذ عصر الآباء الرُّسُل القدِّيسين[١].

وإن كانت بعض الكنائس الشَّرقيَّة قد أغفلت طقس وضع اليد وأحلَّت محلَّه طقس المسح بالزَّيت المقدَّس، إلاَّ أنَّ الكنيسة القبطيَّة لم تتخلّ عن ممارسة الطَّقسَين معاً بحسب أقدم الوثائق اللِّيتورجيَّة والطَّقسيَّة. ويُقرِّر العالم المدقِّق الأب جريجوري دكس G. Dix قائلاً: ''في القرن الرَّابع الميلادي، فَقَدَ وضع اليد مدلوله وأهميَّته في سوريا، واختفى أيضاً عند كيرلُّس الأورشليمي''[٢].

ولقد أُضيف إلى هاتين الممارستَين، ممارسة أُخرى، هي النَّفخ في الوجه، حين ينفُخ الكاهن في وجه المعمَّد وهو يقول: ''اقبل الرُّوح القُدُس، وكُن إناءً طاهراً من قِبَل يسوع المسيح ربِّنا''. والنَّفخ في الوجه طقس تعرفه كلُّ الكنائس التَّقليديَّة.

يقول العلاَّمة ترتليان (١٦٠-٢٢٥م):
[غُسل الجسد كي تتطهَّر النَّفْس، دُهن الجسد كي تتقدَّس النَّفْس، رُشم الجسد كي تُحفظ النَّفْس، وُضعت عليه اليد كي تستنير النَّفْس بالرُّوح][٣].

تاريخ ممارسة الميرون المقدَّس في الكنيسة القبطيَّة

استُخدم الميرون المقدَّس في الكنيسة الجامعة منذ البداية، ليُمسَح به المعمَّدون الجُدُد بعد خروجهم من جُرن

١- عن طقس وضع اليد، انظر: أعمال ٨:١٤-١٧ ؛ أعمال ١٩:٢-٦ . وعن طقس المسح بالزَّيت، انظر: انظر: ٢كورنثوس ١:٢١، ٢٢ ؛ أفسس ١:١٣ ، ٤:٣٠ ؛ ١يوحنَّا ٢:٢٠، ٢٧

2- Gregory Dix, *The Treatise on The Apostolic Tradition of St. Hippolytus of Rome*, London, 1968, p. lvii.

3- Cf. Tertullian, *De Bapt.*, 7 : 8

المعموديَّة. وفي كنيسة الإسكندريَّة، لدينا ما يوثِّق ذلك الأمر عند العلاَّمة كليمندس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م)[٤]، والعلاَّمة أوريجانوس المصري (١٨٥-٢٥٤م) أيضاً[٥]. وهو نفس ما نجده أيضاً في الكنائس الشَّرقيَّة الأُخرى.

ولدينا منذ القرن الثَّالث الميلادي، إشارة واضحة عن وجود صلوات مختصَّة بتقديس الميرون المقدَّس. ففي رسالة القدِّيس كبريانوس الشَّهيد (+٢٨٥م) والتي كتبها في مجمع قرطاجنَّة الثَّالث سنة ٢٥٧م، يقول:

[... ثمَّ إنه لابد للمعتمِد، أن يُمسح للرَّب بمنحه مسحة الميرون المقدَّس، وحصوله في داخله على نعمة المسيح. **أمَّا الذي ليس له كنيسة ولا مذبح، فلا يستطيع أن يُقدِّس الزَّيت**].

وفي مصر يشير العلاَّمة ديديموس الضَّرير (٣١٣-٣٩٨م) بوضوح إلى صلاة التَّبريك المقدَّسة جدًّا، التي تجري على "الزَّيت المقدَّس"[٦]. ويحوي خولاجي القدِّيس سرابيون نصَّ صلاة تعود إلى ما قبل سنة ٣٥٠م، بعنوان: "صلاة للمسحة التي يُمسح بها المعَّمدون" Εὐχὴ εἰς τὸ χρῖσμα ἐν ᾧ χρὶονται οί βαπτισθὲντες .

ويشتمل الكتاب السَّابع من المراسيم الرَّسوليَّة (القرن الرَّابع الميلادي)، على صلاتين لتبريك الميرون المقدَّس. الصَّلاة الأولى (٢٧:٧) نُقل جزء منها من الدِّيداخي، والثَّانية (٢:٤٤:٧) من طقس المعموديَّة نفسه. وفي كتابات ديونيسيوس الأريوباغي (القرن الخامس الميلادي) وردت أوَّل إشارات لسكب الميرون على مياه المعموديَّة[٧]، ولاستخدامه في تكريس المذابح[٨]، وأوَّل ذكر لمكوِّناته[٩]، وكذلك تكريسه الذي يتم على المذبح[١٠].

ونعرف من القرَنين الخامس والسَّادس للميلاد، ولاسيَّما من القانون (١٩) من "قوانين هيبوليتس القبطيَّة" وأيضاً القانون (٣٤:١) من "قوانين الرُّسُل" في تقليد الكنيسة القبطيَّة، أنَّ الأُسقُف كان يباشر تبريك أو تكريس نوعَين من الزُّيوت المختصَّة بالمعموديَّة بعد أن ينتهي من تبريك مياه المعموديَّة مباشرة[١١]. وهذان النَّوعان من الزُّيوت هما: زيت الإكسرجيسمُس (الاستحلاف)[١٢]، وزيت الأوخارسديَّة (الشُّكر)، والذي اشتهر باسم "الميرون" منذ القرن السَّابع الميلادي.

وهذه الشِّهادات الوثائقيَّة السَّابق ذكرها، تدعم رسالة في غاية الأهميَّة، تعود إلى القرن العاشر الميلادي، وترجع أهميَّتها إلى أنها تضع حدًّا فاصلاً واضحاً بين تقديس زيت الميرون في الألف سنة الأولى للميلاد، بحسب طقس المصريِّين، وبين تقديسه في الألف الثَّانية للميلاد، نقلاً عن الرُّوم.

أقدم شهادة وثائقيَّة تفصل بين الألف الأولى للميلاد والألف الثَّانية له، في تكريس الميرون وتقديسه

هذه الشَّهادة الوثائقيَّة تأتينا من أُسقُف جليل من أساقفة الكنيسة القبطيَّة، وهو أنبا مقاره أُسقُف منوف العُليا[١٣]، وقد عاش في القرن العاشر الميلادي، حيث كَتَبَ رسالة إلى الأراخنة في مدينة الإسكندريَّة، بناء عن طلبهم.

4- Clem. *Paed*. 2.8.

5- Oreg. *Contra Cles*. 6.79.

6- Dom Pierre de Puniet, *Le Baptême*, *op. cit.*, p. 263.

7- *PG* 3, 396C.

8- *PG* 3, 497D.

9- *PG* 3, 477C.

10- *PG* 3, 473A ; Cf. Lampe, G.W.H., D.D., *op. cit.*, p. 889.

١١- حتى القرن السَّادس الميلادي، وربَّما بعده بقليل، كان يتم تبريك مياه المعموديَّة أوَّلاً، ثمَّ تبريك زيوت المعموديَّة، ولكن فيما بين القرنين السَّابع والعاشر للميلاد، كان يتم تبريك زيوت المعموديَّة أوَّلاً، ثمَّ تبريك مياه المعموديَّة.

١٢- والذي أصبح يُسمَّى منذ القرن السَّابع الميلادي فصاعداً "زيت الغاليليون"، أو "زيت البهجة".

١٣- أنبا مقاره أُسقُف منوف العُليا، هو كاتب السِّنودس في زمن البابا قزمان الثَّالث (٩٢٠-٩٣٢م) البطريرك الـ ٥٨ من باباوات الكرازة المرقسيَّة.

وهي رسالة محفوظة في مخطوط رقم (عربي ١٠٠) بالمكتبة الأهليَّة بباريس[١٤].

ولسبب أنَّ مُعظم معلوماتنا التي نعرفها اليَوم عن تكريس الميرون المقدَّس، وطريقة طبخه، لا تعود إلى ما قبل سنة ١١٧٠م، أي أواخر القرن الثَّاني عشر الميلادي، فمن هنا كانت الأهميَّة القُصوى لهذه الرِّسالة على وجه الخصوص، ولاسيَّما أنها لم تظهر إلى النُّور كاملة لقارئي اللُّغة العربيَّة إلاَّ في سنة ٢٠٠٧م.

وأوردُ فيما يلي مقتطفات منها، ثمَّ أُعقِّب على أهم ما ورد بها من بنود، تختص بتكريس الميرون المقدَّس. فيكتب ناسخ مخطوط باريس، فيقول: ''وجدتُ رسالة من أنبا مقاره أُسقُف منوف العُليا، كاتب السّنودس لَمَّا سأله قومٌ من الأراخنة عن الميرون المقدَّس، الذي يُقدَّس يوم خميس الفصح المجيد''.
قال:

[إنَّ هذا الميرون ما هو لنا بقانون نحن المصريِّين أن نعمله في يوم خميس الفصح، بل هو للرُّوم ... فأمَّا القانون الذي لنا نحن الأرثوذكسيِّين اليعاقبة القبط، فهو بخلاف ذلك، وأنَّ ناموسَنا نحن فهو أن نعمل الميرون في يوم الجُمعة من سادس جُمعة من الصَّوم المبارَك[١٥]، بسبب المعموديَّة على الرَّسم الجاري منذ الابتداء. وكان هذا الطَّقس يُعمل بمدينة الإسكندريَّة كُرسي ماري مرقص الإنجيلي، وهو أن يجتمع سائر الأساقفة إلى البطريرك فيها، وشعبٌ كثير من أهل كلِّ بلد، ويُعمِّد (البطريرك) من يحتاج إلى المعموديَّة، صغيراً كان أم كبيراً.].

[وكان الرَّسم، أن يجتمع سائر الأساقفة بالإسكندريَّة مع من يحضر من الشَّعب من كلِّ بلد، ويُنشَد للأردن[١٦] رابع يوم من الجُمعة السَّادسة من الصَّوم، في البيعة الجامعة التي تُسمَّى الإنجيليِّين. فيجتمعون فيها، ويُقرأ كتاب البطريرك الذي يُسمَّى ⲉⲕⲁⲑⲏⲕⲏⲥⲓⲥ أي الوعظ، لمن يتعمَّد. فإذا كان يوم الجُمعة من هذه الجُمعة السَّادسة، اجتمع البطريرك وسائر الأساقفة والكهنة والشَّعب إلى هذه البيعة الجامعة، موضع الأردن، وفي الابتداء يُصلَح الميرون والغاليليون[١٧]، فإذا انقضا قُدَّاسيهما، رجع البطريرك مع سائر الأساقفة إلى موضع الأردن، فيُقدِّس الماء كالتَّرتيب، ويُعمِّد الجميع، ويُدهنون بهذَين الدُّهنَين].

[إذا كان يوم الجُمعة ... يحملون السَّرائر المقدَّسة على المذبح، ويحملون الميرون على مذبح، والغاليلاون على مذبح، وهما دُهن البلسان، ودُهن الزَّيتون. ويقرأ البطريرك عليهم الصَّلوات ... فإذا فرغوا من القُدَّاس على الميرون، وهو دُهن البلسان، والغاليليون وهو دُهن الزَّيتون، يُعمِّد بيديه ثلاثة أفراد من الذُّكور، ويأمر القسوس أن يعمِّدوا من بقى، ثمَّ يدهنهم البطريرك بالميرون وهو دُهن البلسان، بمفرده].

[فلمَّا لحقنا الاختلال والحيران، حوَّلوا هذا الطَّقس إلى دير أبو مقار، لكن ليس هو تامٌّ فيه، لا تسجيل أسماء في يوم الأربعاء، ولا المعموديَّة يوم الجُمعة، ولا تقديس الميرون وهو دهن البلسان، والغاليليون وهو

١٤– نشرت هذه الرِّسالة لأوَّل مرَّة بواسطة الأب لويس فيلكور Dom Louis Villecourt بالفرنسيَّة في لوفان (بلجيكا) سنة ١٩٢٣م في مجلَّة ''لوميزيون'' Le Muséon تحت عنوان ''رسالة مقاره أُسقُف ممفيس (منوف) عن اللِّيتورجيَّة القديمة للميرون والمعموديَّة في الإسكندريَّة''.

Louis Villecourt, *La lettre de Macaire, évêque de Memphis, sur la liturgie antique du Chrême et du Baptême, à Alexandrie*, t. XXXVI, Louvain, 1923, p. 33.

وبعد أن حصلتُ على صورة طبق الأصل من مخطوط (عربي ١٠٠) بمكتبة باريس، نشرتُ هذه الرِّسالة في كتاب: سرّ الرُّوح القُدُس والميرون المقدَّس سنة ٢٠٠٧م.

١٥– الجُمعة السَّادسة من الصَّوم الكبير، كانت هي نفسها الجُمعة العظيمة، لَّما كانت فترة الصَّوم الكبير ستَّة أسابيع. ولَّما صار الصَّوم الكبير سبعة أسابيع، بعد انفصال الصَّوم الأربعيني عن أسبوع البَصخة المقدَّسة، ودخلت ألحان كثيرة لتُقال في يوم الجُمعة العظيمة، انتقلت الجُمعة السَّادسة من الصَّوم، إلى ما نعرفه اليَوم باسم جُمعة ختام الصَّوم. ولَّما استطالت مدَّة الصَّوم الكبير إلى ثمانية أسابيع، احتفظت الكنيسة القبطيَّة بالجمعة السَّادسة من الصَّوم، كيوم قديم للإعداد للمعموديَّة، فنجد قراءات القطمارُس لهذا اليَوم تتحدَّث عن المعموديَّة، والأحد التَّالي لها مباشرة، صار اسمه ''أحد التناصير''، ولكن انتقل يوم جُمعة ختام الصَّوم، ليكون هو الجُمعة السَّابعة من الصَّوم.

١٦– المقصود بالأردن هنا، هو جُرن المعموديَّة.

١٧– انظر: حاشية رقم ١١

دهن الزَّيتون فقط. تغيَّر ذلك التَّرتيب العجيب، وقد كان تقديس الميرون أيضاً في دير القدِّيس أبو مقار في يوم الجُمعة من الجُمعة السَّادسة من الصَّوم على رسم كرسي الإسكندريَّة، وقد لحقته أنا وشاهدته في أيام أنبا قزمان البطريرك[١٨]، وأنا كنتُ كاتبه. لا قانون ثابت في هذا اليَوم وهو يوم الجُمعة من الجُمعة السَّادسة من جُمَع الصَّوم، وإنما غيَّروه لطلب المجد، وابتغوا في ذلك رضى البشر في أيام أنبا مقاره البطريرك[١٩] بمشورة قوم أن يؤخِّروه إلى يوم خميس الفصح حتى يدخل الكتَّاب والأراخنة ويشاهدوه[٢٠]، فغيَّروا القانون[٢١]. ثمَّ لَمَّا صار أبونا أنبا مينا بطريركاً[٢٢]، فكان يعمله سنة في يوم الجُمعة من الجُمعة السَّادسة من الصَّوم، وسنة في يوم خميس الفصح. ثمَّ لَمَّا صار أبونا أنبا أفرآم[٢٣]، **عمل رسم بلده**[٢٤]، فصار رسمٌ يُعمل لرضى النَّاس، وغيَّر قانون كرسي مرقص الإنجيلي][٢٥].

[أمر الآباء المتقدِّمون الذين صاروا على كُرسي ماري مرقص بمعرفة وقداسة، أن يكون تقديس الميرون وهو دُهن البلسان، والغالليون وهو دُهن الزَّيتون، والماء، وغطس المعموديَّة، ودَهن من غطس بالميرون والغالليون في هذا اليَوم، أعني يوم الجُمعة السَّادسة من الصَّوم المبارَك، وما جعلوا من أيام السَّنة كلِّها لتقديس الميرون والغالليون والمعموديَّة، غير هذا اليَوم دون غيره من الأيام].

هذا جانب من هذه الرِّسالة الهامة، وأودُّ أن أعقب عليها في بعض النِّقاط التَّالية:

• جميع الشِّهادات السَّابق ذكرها، تتَّفق على أنَّ يوم تكريس زيوت المعموديَّة، هو نفسه يوم تقديس مياه المعموديَّة، ويوم إجراء مراسيم المعموديَّة أيضاً، حتى القرن العاشر الميلادي.

• إنَّ تكريس الميرون كان يتم خلال الألف سنة الأولى للميلاد في الجُمعة السَّادسة من الصَّوم المقدَّس الكبير، في الكنيسة البطريركيَّة بالإسكندريَّة، وفي يوم المعموديَّة نفسه، على الرَّسم الجاري منذ الابتداء. وأمَّا انتقاله ليتم تكريسه يوم خميس العهد، بعيداً عن يوم المعموديَّة، فهو ليس قانون المصريِّين، بل هو قانون الرُّوم.

• كان طقس تكريس زيوت المعموديَّة في الألف سنة الأولى للميلاد، لا يتعدَّى حدود الصَّلاة على زيت الزَّيتون لتكريسه. أمَّا تقسيمه إلى زيت استحلاف، أي غالليون، أو زيت شُكر أي ميرون، فكان يعتمد على منطوق الصَّلوات نفسها. ولم تكن الكنيسة القبطيَّة وحدها هي التي تفعل ذلك، بل إنَّ الكنائس الأُخرى – رومية وأنطاكية

١٨– هو البابا قزمان الثَّالث (٩٢٠–٩٣٢م)، وهو الـ ٥٨ من باباوات الكرازة المرقسيَّة. وعمل الميرون في الجُمعة السَّادسة من الصَّوم.

١٩– البابا مقاره الأوَّل (٩٣٣–٩٥٣م) الـ ٥٩ من بطاركة الكنيسة القبطيَّة. وعمل الميرون يوم الخميس الكبير خلافاً للطَّقس القديم.

٢٠– أغفل ابن كَبَر هذه الجزئيَّة، ولم يشر إليها.

انظر: انظر: شمس الرِّئاسة أبو البركات المعروف بابن كَبَر، مصباح الظُّلمة في إيضاح الخدمة، الجزء الأوَّل، مكتبة الكاروز، ١٩٧١م، ص ٣٥٠

٢١– هنا يضيف القس أبو البركات بن كَبَر ما يلي: ''ثمَّ ولَمَّا صار أنبا ثاؤفانيوس السِّتون بطريركاً على كرسي الإسكندريَّة ردَّه إلى يوم الجُمعة من الجمعة السَّادسة''.

انظر: شمس الرِّئاسة أبو البركات المعروف بابن كَبَر، مرجع سابق، ص ٣٥٢

٢٢– البابا مينا الثَّاني (٩٥٨–٩٧٠م) الـ ٦١ من بطاركة الكنيسة القبطيَّة. وهو آخر من عمل الميرون في الجُمعة السَّادسة من الصَّوم.

٢٣– البابا أبرام بن زرعه السِّرياني (٩٧٥–٩٧٨م) الـ ٦٢ من بطاركة الكنيسة القبطيَّة. وعمل الميرون في يوم الخميس الكبير، واستمر الحال على ذلك حتى زمن البابا كيرلُّس السَّادس سنة ١٩٦٧م، باستثناء مرَّتين، واحدة في زمن البابا بنيامين الثَّاني سنة ١٣٣٠م، والثَّانية في زمن البابا يؤانس التَّاسع عشر سنة ١٩٣٠، و ١٩٣١م.

٢٤– أي طبقاً للطقس السِّرياني الأنطاكي.

Louis Villecourt, *La lettre de Macaire ..., op. cit.*, p. 39.

وجدير بالذِّكر أنَّ القس أبو البركات أغفل هذه الإشارة الهامة التي ذكرها أنبا مقاره، وذكر بدلاً منها أنَّ أنبا أبرآم (ابن زرعة السِّرياني) استمرَّ يعمله في يوم الخميس الكبير، وجرت العادة على ذلك في أيامه وهلمَّ جرا.

انظر: شمس الرِّئاسة أبو البركات بن كَبَر، مرجع سابق، ص ٣٥٣

٢٥– ترجمتُ النَّص من الفرنسيَّة أوَّلاً، ثمَّ راجعته على المخطوط بعد العثور على نسخة طبق الأصل منه. وقد أفادني النَّص الفرنسي في معرفة كلمة ''فيشيشين'' التي وردت في نصِّ المخطوط، والتي تُرجمت في النَّص الفرنسي إلى: ''تسجيل الأسماء''.

Cf. Dom Louis Villecourt, *La lettre de Macaire ..., op. cit.*, p. 39.

والقُسطنطينيَّة – كانت تمارس نفس الشَّيء[٢٦].

• ولكنَّنا مع ذلك، لا يمكننا أن نغفل الإشارة الهامة جدًّا، والتي ذكرها القدِّيس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م) في كتابه ''ضدَّ الهرطقات'' (٤:٢١:١) عن أنَّ الغنوسيِّين – في غضون القرن الثَّاني الميلادي – كانوا يُضيفون البلسم على زيت الزَّيتون النَّقي، لعمل الميرون المقدَّس[٢٧]. وهذه أوَّل إشارة تشير إلى الفرق بين الميرون والغاليليون، أنَّ الأوَّل كان يضاف إليه البلسم، أمَّا الثَّاني – أي الغاليليون – فكان من زيت الزَّيتون النَّقي فحسب. ولكن لم تدخل إضافة البلسم إلى زيت الميرون على الطَّقس الكنسي، إلاَّ ببطء شديد، وهو ما أشارت إليه رسالة أنبا مقاره في القرن العاشر.

• كان أنبا مقاره الأوَّل (٩٣٣-٩٥٣م) الـ ٥٩ من بطاركة الكنيسة القبطيَّة – وهو من دير أنبا مقار – هو أوَّل من نقل تكريس الميرون إلى يوم الخميس الكبير بدلاً من يوم الجُمعة السَّادسة من الصَّوم، خلافاً للطَّقس القبطي القديم. ولكن بعد زمانه، عاد تكريس الميرون مرَّة أُخرى – وإلى حين – إلى يوم الجُمعة من الجُمعة السَّادسة من الصَّوم الكبير.

• لَّما صار أنبا مينا الثَّاني بطريركاً (٩٥٨-٩٧٠م) وهو الـ ٦١ من بطاركة الكنيسة القبطيَّة – وهو من دير أنبا مقار – فكان يكرِّس الميرون سنة في الإسكندريَّة في يوم الجُمعة السَّادسة من الصَّوم الأربعيني، وسنة في دير أنبا مقار في يوم الخميس الكبير!!

• ومنذ أيام البابا أبرآم بن زرعه السِّرياني، (٩٧٥-٩٧٨م) الـ ٦٢ من بطاركة الكنيسة القبطيَّة، استقرَّ عمل الميرون في يوم الخميس الكبير، واستمرَّ الحال على ذلك حتى إلى زمن البابا كيرلُّس السَّادس سنة ١٩٦٧م، باستثناء ثلاث مرَّات، واحدة في زمن البابا بنيامين الثَّاني سنة ١٣٣٠م، واثنتان في زمن البابا يؤانس التَّاسع عشر سنة ١٩٣٠ و ١٩٣١م. وكما يقول أنبا مقاره أُسقُف منوف العليا، إنَّ هذا البطريرك عمل الميرون على رسم بلده، فصار يُعمل لرضى النَّاس، وغيَّر قانون كرسي مرقص الإنجيلي.

• وهكذا، وفي الرُّبع الأخير من القرن العاشر، ظهر في الكنيسة القبطيَّة طريقة طبخ الميرون التي نعرفها حتى اليَوم، نقلاً عن الرُّوم والأنطاكيِّين. فانظروا، كيف كان الطَّقس القبطي القديم بسيطاً كلُّ البساطة، يؤدِّي غايته من أقرب الطُّرق وأيسرها، لأنه في الأصل، طقس بسيط قنوع. ولكنَّه حُكم التَّاريخ!

• منذ انتقال تكريس الميرون إلى دير أنبا مقار، انقطعت الصِّلة بين تكريس زيوت المعموديَّة وبين مراسيم المعموديَّة نفسها، والتي كانت تُتمَّم لطالبي المعموديَّة في نفس يوم التَّكريس.

• بناء على ما سبق ذكره، ولاسيَّما من رسالة أنبا مقاره أُسقُف منوف العليا في القرن العاشر، لا يمكنُنا بحال من الأحوال، تحديد عدد مرَّات تكريس الميرون خلال الألف سنة الأولى للميلاد، وقد عرفنا أنَّ البابا مينا الثَّاني (٩٥٨-٩٧٠م) – على سبيل المثال – كان يعمله سنويًّا في مدَّة حبريَّته التي استمرَّت حوالي ١٢ سنة، سنة في الإسكندريَّة، وسنة في دير القدِّيس أنبا مقار. بل وحتى الألف الثَّانية للميلاد، هناك فترات تاريخيَّة ساقطة فيها من جدول عمل الميرون، هي قرنان ونصف تقريباً (من منتصف القرن الخامس عشر حتى نهاية القرن السَّابع عشر)، وأيضاً حوالي قرن من الزَّمان (من الرُّبع الأوَّل من القرن التَّاسع عشر حتى الرُّبع الأوَّل من القرن العشرين).

• بانتقال يوم تكريس الميرون من يوم الجُمعة السَّادسة من الصَّوم المقدَّس الكبير (جُمعة ختام الصَّوم) إلى يوم الخميس الكبير بعد فترة تردُّد بين اليومَين المذكورَين، حلَّ طقس صلوات مسحة المرضي – أي القنديل العام – في يوم جُمعة ختام الصَّوم، كبديل ليتورجي عن طقس تكريس الميرون الذي كان يجري في ذلك اليَوم، ولكن ببطء شديد، ربما في أواخر القرن الرَّابع عشر أو بعده.

٢٦- القُمُّص عبد المسيح صليب البرموسي المسعودي، مرجع سابق، ص ٥

27- Lampe, G.W.H., D.D., *op. cit.*, p. 1529.

فلم يُشر يوحنَّا بن سباع في القرن الثَّالث عشر عند حديثه عن القنديل (في البَاب ١٠٩ من كتاب الجوهرة النَّفيسة)، إلى أنه يتمَّم في يوم معيَّن أو وقت محدَّد بذاته. وكذلك الحال عند القس شمس الرِّئاسة بن كَبَر (+١٣٢٤م) كاهن كنيسة العذراء المعلَّقة، وهي الكنيسة البطريركيَّة في ذلك الوَقت، والذي يوضِّح ذلك الأمر بأكثر جلاء (في البَاب ٢١ من كتاب مصباح الظلمة). كما يتَّضح من كلامهما، أنَّ صلاة القنديل كانت تتمَّم على مريض بعينه بحضور الشَّعب، وليس على الشَّعب نفسه. ولا زالت نصوص صلوات هذا السِّر حتى اليَوم، تأتي بصيغة المفرد وليس بصيغة الجمع. ومن ثمَّ فإنَّ تعبير ''القنديل العام'' هو تعبير مُستحدَث.

أقدم شهادة وثائقيَّة تشرح عمل الميرون في الكنيسة القبطيَّة في الألف الثَّانية للميلاد

إنَّ كلَّ ما لدينا من معطيات عن عمل الميرون وطبخه، كما نمارسه حتى اليَوم، بدءًا من أواخر القرن العاشر الميلادي، منقول عن البَاب التَّاسع من كتاب ''مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة'' لابن كَبَر (+١٣٢٤م). فمن أين جاء ابن كَبَر بهذه المعلومات التي استقرَّت في وجدان الكنيسة طيلة هذه القرون؟ ولاسيَّما قوله: ''كما يذكر الآباء''.

بالبحث وجدتُ أنَّ ابن كَبَر قد نقل معلوماته عن رسالة موجودة في مخطوط رقم (عربي ١٠٠) بالمكتبة الأهليَّة بباريس، وهي لأُسقُف مصري مجهول الاسم، أرسلها إلى يعقوب ديونيسيوس بن الصَّليبي أُسقُف أمد[٢٨] بناءً عن طلب هذا الأخير، حين سأله أن يُرسل له شرحاً عن أصل الميرون المقدَّس، وسببه، وطبخه، وتكريسه، ومجموعات أصنافه، ومفردات عقاقيره ... الخ[٢٩]. ولقد أثبتُّ أنَّ تاريخ هذه الرِّسالة يعود إلى سنة ١١٧٠م.

وأوردُ فيما يلي جانباً من نصِّ هذه الرِّسالة، فيقول الأُسقُف المصري مجهول الاسم:

- ''وقفتُ على رسالة الأب القدِّيس أنبا إيليَّا مطران نصيبين يذكر فيها أنَّ العمامة التي عصبوا (لفوا) بها وجه المخلِّص التي وجدوها في القبر منفردة، دُفعت لبطرس الرَّسول إشارة إلى أنه هامة الرُّسُل. والمُر والصَّبر الذي حنَّطاه به يوسف الرَّامي ونيقوديموس الذي وجده التَّلاميذ في القبر بعد قيامته[٣٠]، فقد دقُّوه وأضافوا إليه زيت صافي فلسطيني، وصلُّوا عليه وقدَّسوه بأجمعهم في العُليَّة التي حلَّ عليهم فيها الرُّوح القُدُس، ووزَّعوه بالسَّويَّة ليمسحوا به المعمَّدين إذا أرادوا العماد''.

والملاحظ هنا، أنَّ المخطوط المذكور يحوي كثيراً من أسماء البطاركة والأساقفة، سواء الأقباط أو السِّريان، وبتحديد واضح، باستثناء الأُسقُف المصري مجهول الاسم، صاحب هذه الرِّسالة التي نحن بصددها الآن!!

وهنا نتساءل: هل يمكن لحدث خطير مثل هذا، أن تصمُت عنه كلُّ المصادر الكنسيَّة بكلِّ أنواعها، وبكافة اللُّغات اليونانيَّة والقبطيَّة والعربيَّة، على مدى اثني عشر قرناً من الزَّمان، ولاسيَّما كتاب ''تاريخ البطاركة'' المنسوب للأنبا ساويرس بن المقفَّع، حتى يأتي ذكره في أواخر القرن الثَّاني عشر الميلادي؟! كما أنَّ المصدر الذي نُقل عنه هذا الأمر، هو أنبا إيليَّا مطران نصيبين، فهو وإن صحَّ، فهو تقليد سرياني، وليس تقليداً قبطيًّا.

- وتقول الرِّسالة أيضاً: ''ولم يزل العماد بالدُّهن الموروث المقدَّس الذي كان من الحنوط، إلى أن أُهمل أمره، ونفذ. وكاتَبَ هذا الأب القدِّيس (البابا أثناسيوس الرَّسولي) البابا بروميه[٣١] وإخوته البطاركة

٢٨- ''أمد'' هي حاليًّا ''ديار بكر'' وهي مدينة تركيَّة على نهر دجلة، شرقي الأناضول.
انظر: المنجد في اللُّغة والأعلام، مرجع سابق، ص ٦٨، ٢٥٢

٢٩- العجيب هنا، أنَّ الأُسقُف الأنطاكي يسأل الأُسقُف المصري عن طريقة عمل الميرون، وهذا تزييف للتَّاريخ اللِّيتورجي، في حين أن الأُسقُف المصري مجهول الاسم، يعتمد في جوابه على مطران نصيبين في بلاد سوريا. بالإضافة إلى أنَّ الأنبا مقاره في القرن العاشر الميلادي، يقول إنَّ البابا أبرآم بن زرعه (٩٧٥-٩٧٨م) السِّرياني هو الذي أدخل هذا الطَّقس إلى مصر نقلاً عن بلاده سوريا.

٣٠- تذكر الرِّسالة أنَّ زنته كانت مائة رِطل بالشَّامي، وبالمصري أربع مائة رطل. وكانت كثرة هذا العقار بخلاف ما تدعو الحاجة إليه لتحنيط الموتى تدبيراً من النِّعمة الإلهيَّة لذلك. أمَّا ابن كَبَر، فيذكر فقط أن المر والصبر كانت زنته مائة رطل بالشامي.

٣١- طبقاً للمصادر الوثائقيَّة الموجودة، فإنَّ أقدم استخدام للقب ''بابا'' لأُسقُف روما، ظهر في نقش في أحد سراديب catacomb روما يعود

بأنطاكية والقُسطنطينيَّة بعمل صلوات تُقال على الزَّيت الفلسطيني الذي من الزَّيتون، ويُسمَّى زيت الأوخارستيَّا، أي زيت النِّعمة، فرشم به الأطفال سلاحاً بغير صلاة. وزيت الاستحلاف يدهن به المتعمِّدين، وينقط منه في الأردن''.

وهنا، حتى إن سلَّمنا بأنَّ الميرون كان من الحنوط الذي وجدوه في قبر المُخلِّص، بعد مزجه بزيت الزَّيتون، فتقول هذه الرِّسالة عينها، **بأنه قد أُهمل أمره ونفذ**[٣٢]. فحتى إن سلَّمنا بهذه الرِّواية، فتكون قد انتهت في زمن البابا أثناسيوس الرَّسولي. وبرغم هذا، كيف **يمكن أن ينفذ الميرون المقدَّس في زمن البابا أثناسيوس الرَّسولي، والمعروف أنَّ تكريس الميرون يتم كلّ سنة في الكنيسة البطريركيَّة**، بصلاة تُقال على زيت الزَّيتون النَّقي، في يوم المعموديَّة نفسه، وهو ما نعرفه من رسالة أنبا مقاره أُسقُف منوف العليا في القرن العاشر، وما يشرحه لنا أيضاً تاريخ الكنيسة في أيام البابا ديونيسيوس الكبير (٢٤٧-٢٦٤م)، والبابا بطرس خاتم الشُّهداء (٣٠٢-٣١١م)، والبابا ثاؤفيلس (٣٨٥-٤١٢م) وغيرهم، وهو ما تدعمه أيضاً هذه الرِّسالة عينها.

كما أنَّ التَّاريخ يحتفظ لنا بكم كبير من كتابات البابا أثناسيوس الرَّسولي، ورسائله[٣٣]، وليس من بينها، رسالة له تختص بموضوع الميرون. كما يبدو أنَّ كاتب الرِّسالة مجهول الاسم، فاته أنَّ الزَّيت الذي يُنقط منه في جُرن المعموديَّة، هو زيت الميرون المقدَّس، وليس زيت الغاليليون أو الاستحلاف.

• وتقول الرِّسالة أيضاً: ''... فلمَّا كان في أيام ثاؤفيلس البطريرك الثَّالث والعشرين ... اجتمعوا على جاري العادة في مدينة الإسكندريَّة في كنيسة البشيرين للعماد من يد البطريرك. وكانت امرأة من أنطاكية قصدت الإسكندريَّة ومعها ولداً تُعمِّده، ومرض منها في البحر وخافت عليه من الموت بغير عماد، فأخرجت ثديها وجرحته وأخذت من دمه ومن لبنها ورشمت مفاصله به بعلامة الصَّليب، فأفاق الطِّفل. ووصلوا إلى مدينة الإسكندريَّة في يوم الجُمعة السَّادسة من الصَّوم المقدَّس ... وأراد البطريرك تعميده بالماء في الفسقيَّة، فصارت للوقت حجراً. فاستخبرها ما حالها؟ فأعلمته بالقضيَّة، فتحقَّق أنَّ إيمانها عمَّد ولدها. فكاتب البطاركة بذلك وسألهم أن يأمروا أن تكون المعموديَّة في كلِّ وقت وكلِّ موضع، وبيد كلِّ القسوس ما خلا الصِّيام الكبير[٣٤] إلاَّ عن ضرورة. فصار ذلك إلى الآن''.

هذه القصَّة التي تذكرها هذه الرِّسالة منسوبة إلى البابا ثاؤفيلس البطريرك الثَّالث والعشرين (٣٨٤-٤١٢م)، يذكرها كتاب تاريخ البطاركة منسوبة إلى البابا بطرس خاتم الشُّهداء (٣٠٠-٣١٠م)[٣٥]. والفرق بين التَّاريخين قرابة قرن كامل من الزَّمان. أمَّا ابن كَبَر فحين أورد ذكر هذه القصَّة، أغفل اسم البطريرك، فلم يذكر مخطوط مصباح الظُّلمة، شيئاً عن الاسم[٣٦].

• وتقول الرِّسالة أيضاً: ''أظهر الرَّب من ملاك مقدَّس (للأب ثاؤفيلس البطريرك)[٣٧] أن يسير إلى

تاريخه إلى حوالي سنة ٣٠٣م، أي بعد خمسين سنة من لقب ''بابا'' الذي أطلق على هيراكلاس (٢٣١ - ٢٤٦م) أُسقُف الإسكندريَّة. ولقد انتشر هذا اللَّقب بين أساقفة الغرب في القرن العاشر، حيث كان يُدعى به أيُّ أُسقُف، حتى حصره البابا غريغوريوس السَّابع (+ ١٠٧٣م) بقرار مجمعي، ليكون وقفاً على أُسقُف روما فقط.

٣٢- هذا هو نفس ما يذكره ابن كَبَر.
انظر: شمس الرِّئاسة أبو البركات المعروف بابن كَبَر، مرجع سابق، ص ٣٥١

٣٣- للبابا أثناسيوس ١١ كتاباً ورسالة عقيديَّة، ٣ تاريخيَّة، و ١٠ رسائل موجَّهة إلى أشخاص بأسمائهم، غير رسائله الفصحيَّة. وليس بين كل هذه الرَّسائل، الرِّسالة السَّابق الإشارة إليها.

٣٤- هنا يضيف ابن كَبَر: ''... والصَّوم الذي يتلو الخمسين''.
شمس الرِّئاسة أبو البركات المعروف بابن كَبَر، مرجع سابق، ص ٣٥٢

35- Cf. also, Tito Orlandi, *Flavian of Ephesus*, in *The Coptic Encyclopedia*, Vol. 4, 1991, p. 1117.

٣٦- شمس الرِّئاسة أبو البركات المعروف بابن كَبَر، مرجع سابق، ص ٣٥١

٣٧- يغفل ابن كَبَر ذكر اسم البطريرك، مكتفياً بالقول: ''وأعلن من ملاك مقدَّس أن يسير إلى أريحا ... الخ''.
شمس الرِّئاسة أبو البركات المعروف بابن كَبَر، مرجع سابق، ص ٣٥٢

أريحا، ينقل شجر البلسان ويغرسه في الموضع الذي استحم الرَّب فيه عند عودته إلى أرض إسرائيل[٣٨] ... ويفصد ذلك العود بحجر صوَّان ... ويجمعه ويطبخه بالأفاوى[٣٩] كما أمر موسى في دُهن المسحة، ويكون ويكون ذلك في يوم الجُمعة من الجُمعة السَّادسة بدير القدِّيس أبو مقار إن أمكن، وإلاَّ ففي الإسكندريَّة بترتيب أعلمه به الملاك، ورتَّبه على الحالة المشهورة الآن''.

هنا يتَّضح لنا جلياً، تزييف التَّاريخ، لأنَّ اختلاق هذه الرِّواية السَّابق ذكرها مباشرة، هي محاولة للاستعاضة بالبَلَسَان المنقول من أريحا، عن المُر والصَّبر الذي كان في قبر المُخلِّص، والذي أُهمل ونفذ في أيام البابا أثناسيوس الرَّسولي، على حدِّ زعم هذه الرِّسالة.

أمَّا الأمر الذي يدعو إلى العجب، فهو أنَّ الملاك قد أخبر البابا ثاؤفيلس لكي يعمل الميرون، بدير أنبا مقار إن أمكن، وإلاَّ ففي الإسكندريَّة، فمن نصدِّق إذاً؟ قصَّة الملاك الذي ظهر للبابا ثاؤفيلس، أم الشِّهادات الوثائقيَّة الكثيرة التي تغطِّي الألف سنة الأولى للميلاد، ولاسيَّما رسالة أنبا مقاره أُسقُف منوف العليا في القرن العاشر الميلادي؟ لدرجة أنني أميل إلى الظَّن، أن يكون هذا الأُسقُف المجهول الاسم، من دير أنبا مقار.

وأخيراً، بعد أن تتكلَّم الرِّسالة عن المُر والصَّبر الذي وجده التَّلاميذ في القبر بعد قيامة المُخلِّص، والذي دقُّوه وأضافوا إليه زيت صافي فلسطيني، وصلُّوا عليه وقدَّسوه بأجمعهم في العُليَّة التي حلَّ عليهم فيها الرُّوح القُدُس، تقول مباشرة:

- ''... وادَّخروا ما أبقوه من القُربان الذي قدَّسه سيِّدنا (يسوع المسيح)، وأمروا أن يمد الخُبز والدُّهن بالزِّيادة عليه في كلِّ وقت من صنفه، مقدَّس بيد الكهنة، ليؤدُّوهما من الأوَّل إلى الآخر أبداً إلى انقضاء الدُّنيا''.

إذاً، فحتى سرّ الإفخارستيَّا المقدَّس، لم يسلم هو الآخر من إضافات يلزم أن تُجري عليه من العِلِيَّة التي اجتمع فيها التَّلاميذ، كما لم يسلم منها الميرون المقدَّس من قبل.

ما هذا؟ إني أتعجَّب أحياناً من ابن كَبَر (+١٣٢٤م) وهو العالم الطَّقسي الشَّهير، الذي يبني عليه الدَّارسون دراساتهم اللِّيتورجيَّة، كأحد أهم المراجع لديهم، كيف يورد في موسوعته الطَّقسيَّة ''مصباح الظُّلمة في إيضاح الخدمة'' اقتباسات من هذه الرِّسالة مجهولة المؤلِّف، والتي تعود إلى القرن الثَّاني عشر الميلادي، ومن بينها الاقتباس السَّابق ذكره، حيث يقول ابن كَبَر ''... وأمروا أن يُمَد بالزِّيادة عليه في كلِّ وقت من صنفه، مقدَّسٌ بيد الكهنة، مع القُربان الذي كانوا أبقوه من الخُبز الذي قدَّسه سيِّدنا ... الخ''[٤٠]. كما أنه يخلط ما اقتبسه من هذه الرِّسالة، بجانب ممَّا ورد في رسالة أنبا مقاره أُسقُف منوف العليا التي تعود إلى القرن العاشر الميلادي، فارتبك المعنى عنده.

هانَ علينا طقسُنا القبطي العظيم الأصيل القديم، فهُنَّا عليه!

فهل سنظل منشغلين بحنوط القبر، والمسيح قام من بين الأموات؟ أمَّا يكفينا النُّور الإلهي الذي ينبثق من القبر المقدَّس في كلِّ سنة، في يوم سبت الفَرَح والنُّور، وفي عز النَّهار، نورٌ أبهى من نور الشَّمس؟ خريستوس آنيستي.

٣٨- يذكر ابن كَبَر تحت عنوان: ''حاشية'' ما يلي: ''قيل إنه لمَّا نُقل البلسان من على الأردن وغُرس على البئر بالمكان المعروف بالمطريَّة، ظهر فيه الدُّهن دون سائر الأماكن التي كان فيها شجر البلسان بالمعجز السيِّدي''!

وبناء على هذا التُّراث المتوارَث، كَتَبَ الشَّاعر بيته الشِّعري المشهور في سهرات شهر كيهك المبارك: ''في المطريَّة حمّوه، فطلع شجر البلسم، منه الميرون صنعوه، السَّلام لك يا مريم''.

٣٩- الأفواه أو الأفاوى جمع أفاويه، والواحد ''فوُهٌ'' (بضم الفاء)، وهي التَّوابل أو نوافج الطِّيب أي أصناف الشَّيء وأنواعه.
المنجد في اللُّغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٦٠١

٤٠- شمس الرِّئاسة أبو البركات المعروف بابن كَبَر، مرجع سابق، ص ٣٥٠